

ابناء ايطو اللبنانية انتقلوا الى بيوريا الاميركية

كتب روبير فرنجه (الأنوار ٢٠٠١/٣/٤)

معظم عائلات بلدة (ايطو) الشمالية في قضاء زغرنا اصبح لها مكان تحت شمس مدينة (بيوريا) في ولاية ايلينوي الاميركية. والى حوالى خمسة آلاف مهاجر، من (ايطو) هناك محلات وشوارع ونواد وكنائس في المدينة الاميركية تحمل شعار الارز وبعض كلمات بالعربية. وقد سلطت الاضواء على تلك المدينة مؤخراً، عندما زارها البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير، واقام له استقبال حاشد فيها بدت خلاله وكأنها مدينة لبنانية. وبلدة (ايطو) الشمالية هي مسقط رأس النائب الاميركي راي لحدو، وقد نشرت (الانوار) عام ١٩٩٤ تحقيقاً عنها عقب فوز راي لحدو للمرة الاولى بالانتخابات الاميركية، ميرزة اصوله التي تعود الى جده المغترب الاول من (ايطو) طنوس لحدو بشاره. كيف بدأت الهجرة الى (بيوريا ايلينوي)، ولماذا من (ايطو) بالتحديد؟ الاجوبة على اسئلتنا اختلفت مصادرها بين رئيس البلدية الاسبق جميل جبرين سليمان، ورئيس البلدية السابق باخوس بشارة لحدو، والرئيس الحالي يوسف صليبا، اضافة الى مدير مدرسة (الريف) خليل الخوري والنحات نايف علوان. وجميعهم زاروا (بيوريا) واستقبلوا في (ايطو) ابناء جاليتها الكبيرة. رئيس بلدية ايطو الاسبق (من سنة ١٩٦٥ الى ١٩٨٨) السيد جميل جبرين سليمان، تحدث عن هجرة الاوائل من (ايطو) التي كانت تتم على طريقة (سافر على ما يقدر الله)، وقال انهم كانوا يستقلون البواخر من ميناء طرابلس، ثم من شاطئ الى شاطئ، ومن ايطاليا الى مرسيليا الى جزيرة (اليس) في نيويورك حيث كانوا يخضعون بعد ستة اشهر من السفر الى فحص طبي يجعلهم اما يكملون الرحلة أو يعودون من حيث اتوا اذا كانت الفحوصات سلبية او المسافرين يشكو من امراض معدية. ويروي سليمان ان شقيق جده رستم سليمان، هاجر الى (بيوريا ايلينوي) سنة ١٨٩٩. ثم عاد الى لبنان، وبقي طوال حياته يسافر ويعود حتى بلغ عدد سفراته ٣٦ رحلة. فقد كان يسافر لمدة اربعة اشهر ثم يعود الى (ايطو) محملاً بما جناه، فيشتري ارزاقاً وعقارات. وهذه كانت حال معظم الاوائل في الاغتراب من (ايطو).

منازل العائلات المهاجرة

وفي بلدة (ايطو) منطقة او محلة تعرف باسم (النصب)، جميع بيوتها قديمة وعلى شكل اطلال أو مهجورة لان جميع اصحابها في (بيوريا ايلينوي). اما العائلات التي اغتربت من (ايطو) الى (بيوريا ايلينوي) فهي: علوان، سليمان، بشاره، لحدو، الصوص والخوري، وهلهول. وانه حين بدأت الهجرة كانت (ايطو) تابعة لقضاء البترون، وليس لزغرنا، رغم المسافة الجغرافية البعيدة الفاصلة بينهما. ومن بين الخمسة آلاف ايطوي في (بيوريا)، هناك ٨٠٠ منهم على لوائح الشطب، يقترح منهم من يصادف وجوده في لبنان اثناء الانتخابات. وهذا ما حصل في الانتخابات البلدية الاخيرة. وقبل ان يغادر منزله قال رئيس البلدية الاسبق السيد سليمان بانه يعرف شخصاً كان يدعى نخله غطاس الخوري هاجر بعد الحرب العالمية الاولى مع عقيته وأولاده السبعة الى (بيوريا) واصبح عددهم اليوم ٥٥٠ شخصاً هناك. وقال ان (الاتحاد الايطوي) في (بيوريا) بدأ بتقديم مساعدات الى البلدة منذ عام ١٩٤٧ حين ارسل اليها على متن احدي البواخر ٤٠٠ شوال من الطحين. ثم كرت سبحة المساعدات، من كنيسة مار سركيس التي شيّدت من مال الاتحاد الذي حلّى وتوحدت الجالية في نادي (ايطو)، الى قاعة المناسبات، وقاعة المدرسة، التي تبرع بتشييدها المغترب انطونيوس المقدسي احد اكبر تجار الفرو في نيويورك.

كما قدمت جالية (بيوريا ايلينوي) بناء مدرسة البلدة الرسمية سنة ١٩٢٠ الذي تم ترميمه في وقت لاحق وتوسيعه ليصبح (مدرسة الريف) بعد ان اقلقت المدرسة الرسمية ابوابها. ويقول رئيس البلدية الحالي يوسف صليبا، ان عودة بعض

المهاجرين الى لبنان هي رهن المناسبات. فمؤعد عرس في (ايطو) يستقطب من جاليتها في (بيوريا) اكثر من ٥٠ شخصاً اذا صادف في فترة الصيف. ويتحدث رئيس بلدية (ايطو) السابق باخوس بشاره لحدود عن ابناء البلدة المهاجرين وكان احدهم ويقول: (هجرة ابناء ايطو بدأت مع طنوس لحدود بشاره (جد النائب راي لحدود) عام ١٨٨٠ بصحبة ثلاثة شباب من البلدة هم فضول الخوري، رستم جبرين سليمان، شاهين ابو نعمة. وانتشرت الهجرة بعد ذلك حتى أصبح عدد ابناء (ايطو) في (بيوريا) نحو الخمسة آلاف وقد أسسوا جمعية سنة ١٩١١ تعرف لليوم باسم (جمعية ايطو)، وكان رئيسها الاول السيد طنوس لحدود بشاره جد النائب راي لحدود. ورئيس الجمعية اليوم، هو بيتر خوري الذي زار (ايطو) اكثر من مرة، وهو صيدلي، ووالدته مولودة في لبنان. وذكر بشاره ان معظم المغتربين زاروا (ايطو) وبينهم النائب راي لحدود وابن عمه دك لحدود. ولفت الى ان والد راي لحدود، هيري المولود في (بيوريا) لا يجيد العربية رغم ان زوجته لبنانية ومن ايطو ايضاً. زيارة راي لحدود

وكان النائب راي لحدود زار لبنان في ٢٣ نيسان ١٩٩٥ للمرة الاولى، وصعد الى بلدته ايطو التي احتفلت بفوزه رغم الضغوطات التي مارسها الرئيس كلينتون عليه يومذاك. وقد صوت له جميع ابناء (ايطو). زيارة راي لحدود الى (ايطو) بدأت بقاء الوزير سليمان فرنجيه في (بنشعي) وكان يرافقه عضو الكونغرس الاميركي جورج شديد حيث جددا في تصريح لهما يومها التأكيد ان لا مبرر لاستمرار الحظر الاميركي على لبنان. كما رافقهما في هذه الزيارة كاهن (بيوريا) فوزي ايليا الذي تناول بندقية صيد قديمة معلقة على جدران داره الوزير فرنجيه والتقطت له صورة وقال: (معلش... بالنهاية كلنا مرده).

وفي ايطو اعد استقبال كبير للوفد الزائر، من لافتات ترحيب الى زغاريد ورفع على الاكف. وحضر راي لحدود ذبيحة ألهية على نية السلام في لبنان في كنيسة مار سركيس وباخوس ترأسها المطران بولس اميل سعاده، ثم غداء لبناني وبرنامج زيارات الى بشري واهدن والارز، ومتحف جبران خليل جبران وبلدة بقاعكفرا ومنزل القديس مار شربل، وطرابلس. مدير مدرسة الريف (ايطو) خليل الخوري الذي عاش لسنوات طويلة في (بيوريا) تحدث عن غربة ابناء (ايطو) فقال: الاوائل الذين هاجروا عملوا في السكك الحديدية، ومن هذا العمل الى التجارة في دكاكين صغيرة، ثم اتجهوا الى العلم مع الجيل الثالث والانخراط بوظائف الدولة والمهن الحرة. وخليل الخوري له خمسة اشقاء في (بيوريا) هم جبرين، جوزيف، سايد، سركيس، وسليمة وقد هاجروا من مطلع السبعينات ويشغلون في شركات الجرافات وتصنيعها، وهي من كبرى الشركات عالمياً. وروى ان الرعي الاول حين وصل بكثافة، اهتم باللغة العربية وتعليمها وتعميمها، ورغب بفتح مدرسة، لكن احد كهنة الرعية، وهو اميركي اقنعهم بانه من غير المستحسن ارهاق التلميذ بلغة رديفة، فهو لا يستوعب اكثر من الأميركية. كيف بدأت الهمم لتأسيس جالية او جمعية تجمع ابناء (ايطو) وتوحدهم وتحضنهم.

قال الخوري استناداً الى ما وثقه من الروايات الشفوية وما حصل عليه من وثائق، بان اول تكاتف لهم كان في دفن احد ابناء (ايطو) الجدد في المغتربات الذي توفي غرقاً في حادث مفعج. ومن هذه الحادثة ولدت فكرة تأسيس نادي ايطو سنة ١٩١٤.

قرى نموذجية

فقد اجتمعوا اولاً وتنادوا في منازلهم، ثم استأجروا مقراً وشيدوا اخر كبيراً لهم يعتبر لليوم من اكبر النوادي في (بيوريا) واكبر امكنة التجمع التي تقام فيها المهرجانات السياسية والشعبية الجماهيرية. وماذا قدمت الجمعية الايطوية لابناء جاليتها هناك؟ يجيب خليل الخوري قائلاً: لقد استحدثت ضيعة نموذجية تيمناً بارز لبنان فيها اكثر من ١٠٠ مسكن، وضيفة ثانية

تيمناً باسم القديس شربل وتدعى (ضيعة مار شربل) وفيها أكثر من ٧٠ مسكناً. وإضافة لذلك بنوا كنيسة للقديس شربل على الطراز الشرقي القديم تتسع لأكثر من ٢٠٠ مؤمن ومؤمنة. وكشف الخوري عن تفاوت كبير في الانتماء اللبناني واللحمة والتمسك بالوطن الأم بين الرعيّل الأول والذين هاجروا من نحو ثلاثين سنة ويبدون أكثر تعلقاً وشغفاً بمعرفة كل ما يحصل في لبنان. أما الأوائل فيتمسكون بنظرتهم إلى الوطن بأحداثه وناسه حين رحلوا عنه. وذكر أن أبناء (إيطو) في (بيوريا) إيلينوي) تربطهم صداقة قوية مع المغتربين اللبنانيين هناك من زحلة ومرجعيون والبترون والجنوب. وتناهى إليه حين كان هناك، أن كبار التجار اللبنانيين في (بيوريا) يلتقون سنوياً ويرسمون سياسة اقتصادية واحدة للأمسك بالوضع الاقتصادي. وحالياً هناك ثلاثة أعضاء من إيطو ولبنان في مجلس بلدية (بيوريا). وقال مدير مدرسة (الريف) أن العلم الأجنبي الوحيد غير الأميركي الذي تجده مرتفعاً ومرفحاً على سطوح المؤسسات وفي ساحة كنيسة مار شربل في بيوريا هو العلم اللبناني. ويقول بأنه لا يفاخر فقط بعدد المغتربين من أبناء (إيطو) بل بنوعيتهم. ويروي مفارقة جميلة عن احتفال أقيم سنة ١٩٨٥ حين احتفل الأوائل من لبنان بمئويتهم في الإغتراب. حيث وقف مدير البوليس، وهو لبناني ويدعى جورج شديد وقال: (خدمت ثلاثين سنة كمدير للبوليس وأشهد أنه في جميع هذه السنوات لم يدخل أي مغترب من إيطو إلى السجن. وقال بأن معظم الذين يغتربون من البلدة يعملون في شركة تصنيع الجرافات. وأن الهجرة من (إيطو) إلى (بيوريا) متواصلة، ولولا التعقيدات في السفارة والروتين الإداري، لكانت البلدة خلت من ٧٠ بالمئة من شبابها بسبب قلّة فرص العمل.

ثلاثة أرباع شباب (إيطو) يفكرون بالسفر إلى (بيوريا). وثلاثة أرباع أبناء إيطو الذين ولدوا في (بيوريا) يرغبون بالتعرف على بلدتهم أو الزواج من بناتها. ويقول خليل الخوري أن مجموعة كبيرة منهم تفكر أيضاً بتشييد بنايات يصطافون فيها في البلدة. ولماذا يستحيل على أبناء (إيطو) في (بيوريا) استعادة جنسيتهم؟ يجيب الخوري: لقد اتضح لي حين كنت أساعد المغتربة من إيطو أميليا يونس على إعداد كتابها عن الجذور والفروع من شجرة عائلة يونس، أن الأسماء كانت تسجل كمايسمعوها أو يستوعبها العامل في السفارة فيجعل من عائلة (الخوري) كوري، ومن محسن اسم ميسن. إضافة إلى أن الأوائل كانوا يعرفون عن أنفسهم حسب الكنية وليس الهوية اللبنانية أو هوية جبل لبنان أو الهوية التركية ما يجعل عملية إثبات صلة القربى صعبة بل مستحيلة. كما أخبرنا عن صهره المغترب طوني علوان وقال: حين حاول صهري إثبات لبنانيته تبين أن والده اعتمد في غربته اسم كنيته (الخوري) تيمناً بجده الخوري ما جعل محاولات استحصاله على جنسية لبنانية تعجيزية. ولفت إلى أن صهره الذي يعيش في (بيوريا) في منزل زين جدرانه بصور بعلبك وجبيل وعنجر وصور واهدن، يعتمد على ساعة تعمل بحسب التوقيت الأميركي، وأخرى حسب التوقيت اللبناني لكي يشعر أنه في وطنه الأصلي. ورغم أنه تعلم العربية واجتهد للحصول على تذكرة لبنانية فهو لن يحصل في حياته عن (شرعة لبنانيته) في هوية فيما الذين لا يستحقون يحملونها للافادة منها. وقال أيضاً بأن الجدد من أبناء إيطو في الهجرة يحبون السياسة ويهتمون بها. (وإثناء وجودي في بيوريا حاولت تأسيس تجمعاً عرف باسم: الأميركيون للبنان والمستقبل). هدف هذا التجمع إلى لفت نظر الشعب الأميركي إلى القضية اللبنانية عبر معرض صور عن القصف على لبنان في حربه ودماره وعبر أنشطة أخرى متواضعة. كما عرضت شبكة الراديو والتلفزيون هناك ساعة من الوقت لتقديم أخبار لبنان. وتتووع انتماءات أبناء (إيطو) في بيوريا إلى بين الديمقراطية والجمهورية لكن الاقتراع يكون في الاستحقاقات الكبرى التزاماً بما تقرره الهيئة الإدارية لجمعية (إيطو).

وروى الخوري ان رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ايام الرئيس الاسبق رونالد ريغان سنة ١٩٨٢ شارل برسي وفي اجتماع عقد في قاعة القديس شربل بحضور برسي كمحاضر اجري اتصالاً بالرئيس الاسبق اليوم والحالي يومذاك ريغان ولفت نظره الى مشكلة احداث زحلة فوعده بالخير وبالتدخل لوقف الاحداث الدموية فتوقف في اليوم التالي القصف على مدينة زحلة. واخبر ايضا عن نائب في الكونغرس روبرت مايكل الذي خلفه مساعده راي لحدود وهو جمهوري وكانت قاعدته الأساسية بيوريا. وقال: الناخب اللبناني يؤثر سلباً او ايجاباً في انتخاب هذين الزعيمين المهمين.